المملكة العربية السعودية
جامعة الملك سعود
كلية الدراسات العليا
قسم التاريخ

الحياة العلمية في مكة المكرمة

١٢٢٨ـ١٢٥٦هـ / ١٨١٣ـ١٨٤٠م

دراسة تاريخية مقدمة لاستكمال متطلبات درجة الماجستير قسم التاريخ

كلية الآداب

إعداد

الطالبة / نبيلة بنت سعود المطيري

إشراف

الأستاذ الدكتور / محمد بن سعيد الشعفي

١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين والحمد لله رب العـــالمين والصـــلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

مرت مكة المكرمة خلال الفترة المحددة للدراسة بأحداث سياســية هامــة حيث نجح محمد علي باشا والي مصر في المهمة التي أوكلت إليه من قبل الدولـــة العثمانية باسترداد الحجاز من الدولة السعودية إلا أن محمد علي باشـــا لم يعــد الحجاز إلى حكم الدولة العثمانية المباشر وعمد إلى ربط إدارة الحجاز بحكومتـه في القاهرة وعمل على الحد من سلطة الأشراف بتعيين محافظاً لمكة نائبـــاً عنـــه في الحجاز إلى جانب شريف مكة وبذلك أصبح الحكم ثنائياً بـــين شـــريف مكـــة والمحافظ المصري في ظل التبعية العثمانية.

وعلى الرغم من التغيرات السياسية إلا أن مكة ظلت بحكم وجود الكعبـــة المشرفة قلباً للعالم الإسلامي وقبلة للمسلمين وملتقى لكثير من علمائهم المســلمين حيث يفد إليها الكثير منهم سنوياً لأداء الشعائر الدينية.

ولما كانت الناحية العلمية لمكة المكرمة لم تفرد بدراسة مســـتقلة خـــلال الفترة المحددة للدراسة فقد طمحت هذه الدراسة على التعرف على الحياة العلميـــة في مكة مع تتبع أثر الأحداث والتغيرات السياسية عليها من مختلف الجوانب.

ولقد واجه البحث عدد من الصعوبات من أبرزها:

أولاً: جمع المادة العلمية التي جاءت متناثرة في بطون المصادر وكان جل اهتمـــام المؤرخين منصباً على تدوين الأحداث التاريخية مما اضطرني إلى الرجوع إلى كتـــب التراجم المخطوطة والمطبوعة التي استطعت الحصول عليها وقراءة ترجمـــة كـــل شخصية سكنت الحجاز والتقصي عن دورها العلمي في مكة ولكن للأسف فجل

اهتمام كتاب تراجم علماء فترة البحث أنصب على التعريف الأسمي دون اهتمام يستحق الذكر في مشاركتهم العلمية.

ثانياً: صعوبة الوصول للمكتبات الخاصة التي يحتمل وجود وثائق ومخطوطات بها تتعلق بزمن الدراسة وبعلمائها وإنتاجهم الفكري ، حيث لم أدخر جهداً في طرق أبواب أصحاب هذه المكتبات للحصول على معلومات تكون ذات فائدة علمية للبحث .

ولتدارك وتجاوز هذه الصعوبات وللاستفادة من المعلومات التي جمعت اعتمدت هذه الدراسة على الأسلوب الإحصائي لإعطاء صورة واضحة عن الحياة العلمية لكل فترة من الفترات التي قسم إليها البحث لتوضيح ما طرأ عليها من تغيرات من فترة لأخرى.
وقد قسمت الرسالة إلى أربعة فصول عدا المقدمة والخاتمة وما ذيل عليها من ملاحق.

وقد خصص الفصل الأول: لدراسة الأوضاع السياسية في مكة قبل الحكم المصري العثماني وتنظيمها الإداري ، وفترة الحكم السعودي والتغيرات التي طرأت فيها.

ثم دراسة الأوضاع السياسية خلال الحكم المصري العثماني من حيث موقف الدولة العثمانية من خضوع مكة للحكم السعودي والتنظيمات الإدارية الجديدة فيها .

الفصل الثاني : عن الحياة العلمية في مكة قبيل حكم محمد علي باشا وقد قسم إلى قسمين القسم الأول تناول العلماء من أهل مكة من حيث حصر عدد العلماء الذين توفوا في هذه الفترة ورحلاتهم في طلب العلم ودورهم في الحياة

العلمية ومصنفاتهم ، أما القسم الثاني : فكان عن العلماء الوافدين عددهم وجهة قدومهم ودوافع القدوم ومصنفاتهم . كما تناول العلماء ودورهم الاجتماعي في مكة وأثر الحكم السعودي على الحياة العلمية في مكة المكرمة.

الفصل الثالث : فكان عن الحياة العلمية في فترة حكم محمد علي باشا وقد اتبع المنهج الذي اتبع في الفصل السابق من حيث تقسيم العلماء.

كما تناول هذا الفصل أثر الحكم المصري على الأوضاع العلمية في هذه الفترة وكذلك دور العلماء في المجتمع المكي ومواردهم المالية.

الفصل الرابع : عن التعليم في مكة المكرمة وقد قسم إلى قسمين أولاً: التعليم قبيل حكم محمد علي باشا وتناول العملية التعليمية من حيث مراحل التعليم وأماكنه والإنفاق عليه . ثانياً: التعليم أثناء فترة حكم محمد علي باشا وقد اتبع المنهج السابق في العملية التعليمية . ثم تناول الإجازات العلمية، وتعليم الفتاة ، ومظاهر ازدهار الحركة العلمية.

ونتيجة للتعديلات الإدارية التي أحدثها محمد علي باشا في مكة إلى جانب ما قام به من إصلاحات مالية لتحسين الأوضاع الاقتصادية للسكان والوافدين وكسب السمعة الطيبة في العالم الإسلامي بإصلاح طرق الحج والاهتمام براحة الحجاج. عاد الهدوء السياسي وعم الرخاء الاقتصادي الذي كان له انعكاسه على الحركة العلمية وأثره في تشجيع العلماء وطلبة العلم على القدوم والمجاورة في مكة وأحدث تغيراً في الأوضاع العلمية في زمن الدراسة مقارنة بالفترة السابقة. ففي الفترة السابقة بلغ عدد العلماء من أهل مكة المترجم لهم سبعة عشر عالماً في حين بلغ عددهم زمن الدراسة عشرين عالماً وبلغ عدد العلماء المجاورين في الفترة السابقة سبعة عشر عالماً في حين بلغ عدد العلماء الذين تم حصرهم في زمن

الدراسة أربعة وسبعين عالماً ويلاحظ التفوق في أعداد المجاورين في هـذه الفـترة حيث بلغ ستة أضعاف عن الفترة السابقة.

كما بلغ عدد المصنفين في الفترة السابقة تسعة مصنفـين كـان نصيـب العلماء من أهل مكة خمسة ونصيب مجاوريها أربعة مصنفين بلغـت مُصنفَاتِـهم تسعة وثلاثين مصنفاً كان نصيب العلماء من أهل مكة ستة وعشـرين مُصنفَـاً وثلاثة عشر مصنفاً لعلماء مكة من المجاورين.

وكانت معظم مصنفات العلماء من أهل مكة في العلوم الشرعية في علـم الفقه ، وانفرد العلماء المجاورون بِمُصنفات العقيدة وبخاصة المجاورين من نجد.
أما في زمن الدراسة فقد بلغ عدد المصنفين سبعة وعشرين مصنفاً بلغـت عـدد مصنفاتهم مائة وتسعة مصنف . كان نصيب العلماء من أهل مكة ثمانية مصنفـين وثلاثة وثلاثين مُصنَفاً وتسعة عشر مُصنِفاً من علماء مكة المجاورين وستة وسبعين مصنفاً. ويلاحظ التفوق في التصنيف والمصنفات في زمن الدراسة حيـث بلـغ ثلاث أضعاف تقريباً عند الفترة السابقة.

كما نجد اهتمام علماء الفترتين بالعلوم الشرعية وهيمنة علـم الفقـه في التصنيفات خاصة على المذهبين الحنفي والشافعي ، إلا أن فترة الدراسة تمـيزت ببروز مصنفات علم العقيدة الذي خلت منه مصنفات العلماء من أهل مكـة في الفترة السابقة وهذا يعد ميزة امتازت بها فترة الدراسة وله دلالتـه علـى تـأثر علمائها بمبادئ الدعوة السلفية ، حيث ظهر تأثر واستيعاب علماء مكـة لهـذه المبادئ من خلال حلقاتهم العلمية التي تخرج منها بعض أصحاب الطرق الصوفيـة مثل الشيخ أحمد بن إدريس والشيخ محمد السنوسي الذيـن ظـهرت طرقـهم كالحركة السلفية إصلاحاً وديناً ، وكان تمسكهم بالعقيدة والسـنة أكـثر مـن

تمسكهم بالتعاليم الصوفية وبعدها عن الغلو الذي عرفت به الطرق الصوفية مما جعل معظم المصادر تسلم بوقوعها تحت تأثير سلفي.

وظهر في زمن الدراسة العديد من المصنفات في العلوم المختلفة كانت مفقودة في مصنفات الفترة السابقة مثل التصوف والمنطق والترجمة والفلك.

وبدأ واضحاً في فترة الدراسة والفترة السابقة سيطرة المذهب الحنفي على المناصب الدينية في مكة المكرمة.

وفي مكة نجد التأثير العلمي لعلمائها سواء من المقيمين أو المجاورين فقد كانوا عامل جذب للعديد من العلماء وطلبة العلم من الأقطار المختلفة الذين سعوا للتزود بالعلم على أيديهم بالمسجد الحرام . الذي اعتبر المركز العلمي والديني لدراسة العلوم الشرعية لجميع علماء العالم الإسلامي. وقصده الطلاب للدراسة على يد علمائه والحصول على الإجازات العلمية منهم لكي تدعم مكانتهم العلمية وتؤهلهم لتولي المناصب الدينية والعلمية و لم يدون للعلماء من أهل مكة في زمن الدراسة أو الفترة السابقة أي رحلة علمية خارج مكة ، بل كانت مكة جاذبة للرحلة العلمية باستقطابها لطلاب العلم من داخل الجزيرة وخارجها ، وذلك مرده لمكانتها الدينية التي جعلتها تستقطب المسلمين من أنحاء العالم الإسلامي ومن ضمنهم العلماء الذين استفاد منهم طلاب العلم فيها مما أغناهم عن الرحلة في طلب العلم وقصد هؤلاء في أوطانهم.

ونظراً لحصول العديد من طلاب العلم الذين جاوروا في مكة على إجازات علمية من علماء مكة ومجاوريها فقد تعززت مكانتهم العلمية الأمر الذي أهل الكثير منهم للتدريس في المسجد الحرام وأصبحوا فيما بعد من كبار

العلماء في مكة فمنهم من بقي بها حتى وافاه الأجل والبعض الآخر عاد إلى بلاده بعد أن اكتفى بالعلم الذي حصل عليه.

وكانت مساهمة العلماء المجاورين في الحياة العلمية زمن الدراسة أعم وأشمل فقد شاركت المرأة في الحياة العلمية مثل الشيخة فاطمة الفضلي التي كانت لها حلقاتها ومجالسها العلمية الخاصة بالنساء بالإضافة إلى مشاركتها العلمية مع علماء مكة من وراء ستار.

ومنهم من كان نشاطه خارج الجزيرة العربية مثل الشيخ أحمد عرفان الذي تأثر بمبادئ الدعوة السلفية في هذه الفترة من اتصاله بعلماء مكة ودعا إليها بحماس كبير في بلاده الهند بعد عودته من مكة.

وكان العلماء من العناصر الفعالة في المجتمع المكي وكان لهم دورهم السياسي في الحفاظ على أمن واستقرار البلاد واللسان الناطق بمتطلبات سكان مكة ، وحظوا بمكانة مميزة عند جميع فئاته وطبقاته الاجتماعية وكانت لهم كلمة مسموعة عند السلطة الحاكمة في مصر التي أحاطتهم بالاهتمام والعناية وعمل أشراف مكة على تقريبهم وجعلهم من خاصة جلسائهم.

وكان لمكة نصيب من النهضة العلمية التي تبناها محمد علي باشا في مصر حيث أصدر أمراً بإبتعاث اثنين من أغوات الحرم المكي للالتحاق بمدرسة الطب التي أنشأها بمصر لتلقي علم الطب والجراحة وتعد بذلك أول بعثة علمية تخرج من الحجاز لدراسة العلوم الحديثة.

وعلى الرغم من استقلال محمد علي باشا بالحجاز لم يتوقف حكام الدولة العثمانية زمن الدراسة عن مواصلة رعايتهم لأهل الحجاز خاصة لأهل العلم.

وبالنسبة لمراحل التعليم وأوقات التدريس وأماكنه فقد استمرت على المسار الذي سارت عليه من قبل حيث تدرج التعليم من تعليم أولي في الكتاتيب إلى مرحلة طلب العلم في المسجد الحرام والمدارس.

وكان قيام محمد علي باشا بإعادة المخصصات المقررة للتعليم منذ دخوله إلى مكة له دوره في إزالة الانعكاسات السلبية على التعليم نتيجة انقطاع وصول محامل الحج والصرة العثمانية المصاحبة لها وأدى إلى اتساع النشاط العلمي في زمن الدراسة وهذا نتبينه من ظهور أسماء لعدد من الكتاتيب المخصصة لتعليم صغار السن مما يدل على الاهتمام بالتعليم الأولي.

كما أعاد للمدارس سيرتها الأولى في جذب طلاب العلم من مختلف أنحاء العالم الإسلامي بما تقدمه من مسكن وإعاشة مما يوفر لهم الظروف المناسبة للتفرغ العلمي. وأولى عنايته بهذه المدارس وتعهدها بالإصلاح والتعمير من الأضرار التي لحقت بها من تقادم الزمن وجعلها مهيأة لمواصلة مسيرتها التعليمية على أكمل وجه.

كما أُدخِل تنظيماً جديداً على التعليم في زمن الدراسة من قبل الشريف محمد بن عون لم يكن مُتبعاً من قبل حيث أُستحدث منصب رئيس العلماء ومهمته الإشراف ومتابعة عمل العلماء في المسجد الحرام ، واستمر العمل بهذا النظام في الفترات اللاحقة. واتسع النشاط العلمي في الأماكن الخاصة بعلماء فترة الدراسة وظهر دور الزوايا كمؤسسة تعليمية واضحاً في هذه الفترة.

كما برز الازدهار العلمي في هذه الفترة بوجود المكتبات العامة والخاصة التي ضمت الكثير من المؤلفات القيمة والنادرة والتي قل أن تتوفر خارج زمن الدراسة.

و لم تخدم المكتبات الخاصة طلبة العلم من الرجال فقط بل اعتـــبر البعـــض منها مكتبات نسائية في المقام الأول نستفيد منها لمتعلمات من النساء مثل مكتبـــة الشيخة فاطمة الفضيلي.

وكذلك رواج تجارة الكتب التي تعد من أهم المؤشرات على ازدهار الحياة العلمية.

وبعد فإني أشكر الله العلي العظيم على ما من به على من إتمام كتابة هـــذه الرسالة مع أمل أن تكون قد وفقت في إيضاح الصورة وجعل الحياة العلمية أكـــثر وضوحاً في الفترة المحددة للدراسة.

والحمد لله أولاً وآخراً...